مجلة
كلية الآداب

مجلة علمية محكمة فصلية

العدد (٧٩) خريف ٢٠١٦

مجلة الكلية الآداب: فصلية- علملة- محكمة تعني بنشر الأبحاث العلمية في مجالات الدراسة الإنسانية اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية والفلسفية والإجتماعية والنفسية والإعلامية وترحب المجلة بالإسهامات العلمية للسادة أعضاء هيئة التدريس والباحثين من العالمين العربي والإسلامي لاثراء المجلة.

قواعد النشر:-

١- تقبل المجلة البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.
٢- يقر البحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخري للنشر.
٣- يخطر الباحث بخطاب رسمي بقبول النشر في حالة إجازة البحث للنشر.
٤- تعد الخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الإيضاحات من قبل الباحث بطريقة تجعلها قابلة للطبع.
٥- تعبر البحوث المنشورة عن رأي اصحابها فقط.
٦- أصول الأعمال المقدمة للمجلة لا ترد حتى في حالة عدم قبولها للنشر.
٧- يحصل الباحث على نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور بها + C.D + عشر مستلات من البحث.
٨- الحجم الأمثل المقبول في حدود (٣٠ صفحة) يسدد الباحث المصري ٦٠٠ جنيها وخمسة عشر جنيهاً عن كل صفحة زائدة، ويسدد الباحث العربي والأجنبي ٣٠٠ دولار وثلاثة دولار عن كل صفحة زائدة.
٩- يسلم البحث مطبوعاً من أصل وصورتين + C.D على أن يكون مجموعاً ببنط ١٤، وأن يكون مقاس الصفحة 12x19سم.
١٠- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية وجهة عمله في أول صفحة من البحث.
١١- تكتب المراجع والهوامش في نهاية البحث، مع الإلتزام بالأسس العلمية للتوثيق.

١٢- يرفق ملخصان للبحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز حجم الملخص صفحة واحدة.

١٣- تنشر المجلة ملخصات الرسائل العلمية العربية والأجنبية.

١٤- تنشر المجلة بحوث معاوني هيئة التدريس كمتطلب للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة.

١٥- تنشر المجلة بحوث أعضاء هيئة التدريس بدرجة أستاذ وفق القيمة الفعلية للطباعة.

١٦- توجه حميع المكاتبات أو الإستفسارات الخاصة بالنشر إلى رئيس تحيرير المجلة على العنوان التالي.

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

تليفون : **٠٥٥/٢٣٤٣٨٢١**

http://www.Arts@ Zu.edu.eg

مجلة كلية

مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

صدر العدد الأول ٨٦ – ١٩٨٧م

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور

عبد الله عسكر

عميد الكلية

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

هناء زكريا على

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

نائب رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

فريدة محمود النجدى

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الفتاح عوض

سكرتير التحرير

مستشارو التحرير

أ.د . عثمان محمد عثمان

أ.د . سهام جبر

أ.د . طارق زكريا

أ.د . حسن حماد

أ.د. إبراهيم المسلمى

أ.د . رضا عبد الحي شحاتة

أ.د . عبد الرحمن بشير

أ.د . إبراهيم عودة

أ.د. عواطف صالح

أسماء السادة الأساتذة محكمي هذا العدد وفقا للترتيب الأبجدي

أ.د/ إبراهيم المسلمي

أ.د/ محمد معوض

أ.د/ رأفت الشيخ

أ.د/ عبد الله احمد ابراهيم

أ.د/ حسن حماد

أ.د/ مدحت محمدي عبد المعطي

أ.د/ قاسم عبده قاسم

أ.د/ راوية حسين

أ.د/ عماد مخيمر

أ.د/ احمد محمد محمد عوين

افتتاحية العدد

يأتي هذا العدد الجديد من مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق عدد ٧٩ خريف ٢٠١٦ معبراً عن جهد محمود وفكر مثمر للسادة الباحثين، حيث يحتوي على عشرة أبحاث، في مجالات اللغة العربية والدراسات الإسلامية وعلم النفس والتاريخ والإعلام.

ففي مجالات دراسات اللغة العربية، نجد بحث الدكتور/ سلامة عبد الله السويدي تحت عنوان:- الألوان وأبعادها الدلالية في شعر الهذليين، وتنصب الدراسة على استنطاق دلالة الألوان وجماليتها في شعر الهذليين ورصد مفردات الألوان والوقوف علي جمالية التشكيل، واستندت الدراسة على المنهجين الإستقرائي والوصفي التحليلي.

وفي الدراسات الإسلامية، يأتي بحث الدكتورة/ نادية عبد الهادي عبد السلام وعنوانه :- القومية ونشأتها وتطورها وموقف الإسلام منها، وتركز الدراسة على القيادات القديمة والحديثة ومدى ارتباطها ببعضها البعض وتأثيرها على الحياة في الفترة الحالية.

وفي مجال الدراسات النفسية، نجد بحثين أولهما الدكتور/ مصطفى حسن محمود عبد الرحمن تحت عنوان:- "علاج معرفي سلوكي لحالة تعاني من بعض الإضطرابات الجنسية" دراسة حالة ويتناول أهمية السلوك الجنسي في حياة الأفراد والمجتمعات، وقسم الباحث أهداف الدراسة إلى سلوكية ووجدانية وارتقائية واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي "الإكلينكي".

أما البحث الثاني وعنوانه:- "القلق الإجتماعي والإكتئابي لدى الأمهات وعلاقته بالكف السلوكي لدى الأبناء بمدينة الرياض" للدكتورة/ صفاء صديق محمد خريبة ويتناول العلاقة بين القلق الإجتماعي والإكتئاب لدى الأمهات والكف السلوكي لدى ابنائهن، وتنقسم الدراسة إلى جانب نظري وآخر تطبيقي وقامت على المنهج الوصفي والإرتباطي المقارن.

وتتوج الدراسات التاريخية بثلاثة أبحاث، يأتي أولاها للدكتور/ بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني وعنوانه:- "الإنحراف العقدي والخرافات والبدع لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي"، وتركز الدراسة على أهمية العصر المملوكي في تاريخ المسلمين لما قام به في سبيل الدفاع عن الإسلام وتثبيت السنة وإعادة الخلافة.

ويأتي البحث الثاني في فرع التاريخ الإسلامي تحت عنوان:- "صورة السلطان عبد الحميد الثاني في شعر محمد عاكف أرصوي واحمد محرم" للدكتور حازم سعيد محمد محمد محاولاً رسم صورة حقيقية للسلطان عبد الحميد الثاني من خلال نظرة الشعراء العرب والترك المعاصرين له والمقارنة بينهما.

وينصب البحث الثالث في التاريخ على "العلاقات التركية العربية في ظل التغير الإستراتيجي" للباحث/ خالد عبده عبد الوهاب عزام، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن دور تركيا كبديل استراتيجي أو كشريك استراتيجي للدول العربية مما قد يغير في خريطة المنطقة، وتأسست الدراسة على المنهج التاريخي بهدف الوصول إلى حقائق تقترب من الواقع.

وللدراسات الإعلامية نصيب في هذا العدد بثلاثة أبحاث، أولاها للدكتورة/ دعاء خليل أحمد خليل وعنوانه:- "كوميديا النقد الإجتماعي في مسرح الكاتب التركي عزيز نسين" الذي يحاول إلقاء الضوء على توظيف الكاتب التركي عزيز نسين لدعائم مسرح الوعي من خلال اسلوب كوميدي ساخر لنقد وتغيير الواقع الإجتماعي التركي عن طريق موهبته في تسجيل قصص الحياة الواقعية بتركيا.

وجاء البحث الثاني تحت عنوان:- "معالجة الصحف الدينية للقضايا المجتمعية كما يراها طلاب الجامعات المصرية"، دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعتي طنطا والازهر بالزقازيق للدكتور/ عبد الحكم أبو حطب، ويبرز لأهمية الدور الذي تقوم به الصحف الإسلامية في معالجة قضايا المجتمع منها النفسي والديني والإجتماعي والإقتصادي والثقافي، وركزت الدراسة على عينة من الشباب في سن ١٨ – ٢٤.

أما البحث الثالث وعنوانه:- "دور المواقع الإلكترونية في إمداد المرأة المصرية بالمعلومات الصحيحة" دراسة ميدانية للباحثة/ فاطمة عبد الرحمن محمد ويتناول التأثير الكبير لوسائل الإعلام على التثقيف الصحي للمرأة دون تحديد موضوعات بعينها أو مرحلة عمرية معينة وحددت الدراسة كافة الموضوعات الصحية التي تهم المرأة المصرية منذ ولادتها وحتى وفاتها.

وفي نهاية هذا العرض الموجز لهذا العدد، لا يسعني سوى أن اتمنى خالص التوفيق والسداد للسادة الباحثين الذين وثقوا في مجلتنا الغراء، وأتقدم بخالص الشكر للسادة العلماء الأجلاء الذين قاموا بتحكيم الأبحاث المنشورة بصدره.

والله المستعان،،

أ.د/ **هناء زكريا علي**

المحتويات

الألوان وأبعادها الدلالية في شعر الهذليين
أ.د/ سلامة عبد الله السويدي..... ١
(دور المواقع الإلكترونية في إمداد المرأة المصرية بالمعلومات الصحية)
الباحثة/ فاطمة عبد الرحمن محمد ٢٩
العلاقات التركية العربية فى ظل التغير الاستراتيجي
الباحث/ خالد عبده عبد الوهاب ٦٥
الانحراف العقدي والخرافات والبدع لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي
د. بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني ٨٣
صورة السلطان عبد الحميد الثاني في شعر محمد عاكف أرصوي وأحمد محرم
د. حازم سعيد محمد منتصر ١٢٩
القلق الاجتماعي والاكتئاب لدي الأمهات وعلاقته بالكف السلوكي لدي الأبناء بمدينة الرياض
د. صفاء صديق محمد خريبه..... ١٧٧
كوميديا النقد الاجتماعي في مسرح الكاتب التركي عزيز نسين
د. دعاء خليل احمد خليل ٢٤٣
معالجة الصحف الدينية للقضايا المجتمعية كما يراها طلاب الجامعات المصرية
د. عبد الحكم أبو حطب..... ٢٦٩
القومية (نشأتها وتطويرها وموقف الإسلام منها)
د. نادية عبد الهادي عبد السلام احمد..... ٣١٩
علاج معرفي سلوكي لحالة تعاني من بعض "الاضطرابات الجنسية" دراسة حالة
د. مصطفى حسن محمود عبد الرحمن..... ٣٧١

الانحراف العقدي والخرافات والبدع
لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي

إعداد

د/ بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني

أستاذ مشارك في كلية الشريعة قسم

تاريخ جامعة أم القرى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ورضي الله عن آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد كان العصر المملوكي عصرًا زاخرًا بمظاهر العلم وأفراد العلماء، كما كان زاخرًا من جهة أخرى بالانحرافات العقدية والبدع والخرافات.

يدلُّ على قضيتنا الأولى، أي شهرته بمظاهر العلم: كثرة المؤرخين لهذا العصر، وعنايتهم ببيان تفاصيله، سواء في مصر أو في الحرم ومكة.

ونشطت في هذا العصر العديد من المدارس العلمية والتاريخية، وحسبك أن أكثر وأهم مصادر التاريخ قد كُتبت في هذا العصر مثلما كتبه ابن كثير (ت ٧٧٤) في «البداية والنهاية»، وتقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢) في «العقد الثمين» وغيره، وابن تغري بردي (ت٨٧٤) في «النجوم الزاهرة»، والنجم عمر فهد (ت٨٨٥) في «إتحاف الورى»، وعز الدين ابن فهد (ت ٩٢٢) في «الدر الكمين».

فجميع هؤلاء المؤرخين وغيرهم عاشوا في هذا العصر، وكتبوا ما كتبوه، فمنهم من أرَّخ لبلدٍ بعينها كالفاسي وابن فهد في مكة، أو ابن تغري بردي في مصر والقاهرة، ومنهم من جمع بين الجميع كابن كثير.

ويدلُّ على قضيتنا الثانية، أي كثرة الانحرافات العقدية والبدع والخرافات فيه: ما ذكره المؤرخون وغيرهم من انحرفات عديدة في العالم الإسلامي والدول الواقعة تحت إمرة المماليك عامة، وفي مكة خاصة، وما يأتي في بحثنا هذا خير شاهد لما نقول.

وقد جعلتُ بحثي هذا خاصًّا بمكة والحرم المكي.

دوافع البحث:

وقد دفعني إلى تخصيصه بمكة من جهة، وبالعصر المملوكي من جهة أخرى عدة أسباب كالتالي:

أهمية العصر المملوكي في تاريخ المسلمين، لما بذله في سبيل الدفاع عن الإسلام، وتثبيت السنة، وإعادة الخلافة.

ثراء العصر المملوكي بالمؤرخين، وشهرته بالعناية بالسنة، خلافًا لأسلافه الفاطميين المشهورين بالبدع والخرافات، مما قد يعطي صورة ذهنية غير صحيحة عما يوجد في هذا العصر من بدع أو مُخلَّفات العصور السابقة عليه.

عدم وجود بحث مفرد في الكلام عن مكة والحرم في مجال الانحرافات العقدية والخرافات والبدع في ظل هذا العصر.

أهداف البحث:

وتتمثل أهداف البحث في عدة نقاط أذكر منها:

١- تجلية الانحراف العقدي والخرافات والبدع الواقعة في مكة في فترة العصر المملوكي.

٢- التحذير من انتشار أو ترويج هذه البدع بحجة وجودها في الحرم المكي آنذاك، من خلال بيان تاريخ هذه البدع وما ذكره المؤرخون حولها.

٣- بيان جهود مؤرِّخي هذا العصر في تأريخ كل ما يدور في المجتمع الإسلامي المكي خاصة، وتنوع أعمالهم في ذلك.

٤- تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة المكية في هذه الحقبة من تاريخ المسلمين.

أقسام البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى:

مقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهدافه.

تمهيد: في الواقع الديني والسياسي والاجتماعي في مكة أثناء العصر المملوكي.

المبحث الأول: في الانحراف العقدي والخرافات والبدع في مكة في العصر المملوكي.

المبحث الثاني: في الانحراف العقدي والخرافات والبدع في الحرم المكي في العصر المملوكي.

وختمته أخيرًا بنتائج وتوصيات.

سائلًا الله عز وجل أن أكون قد ساهمت في كشف النقاب عن بعض ملامح المجتمع المكي في هذه الفترة المهمة من تاريخ الأمة الإسلامية، وما كان فيها من تحولات وتغيرات طرأت على المجتمع المكي والحرم.

تمهيد

في الواقع الديني والسياسي والاجتماعي في مكة أثناء العصر المملوكي

كانت الحركة العلمية في عصر المماليك في أحسن حالاتها، خاصة مع التوجه الديني وانتشار السنة في هذا العصر، وكثرة العلماء، وبناء المدارس، ولم تكن مكة بعيدة عن هذه الدائرة.

فقد ذكر المؤرخون في سنة ٨٣٤ في يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة، وصول الرجبية من القاهرة إلى مكة المشرفة، في جماعة كثيرة ممن يريد الحج والعمرة، منهم العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي رحمه الله.

وفي هذه السنة حج القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش بالقاهرة، وهي حجته الثالثة، وصحبته خوند جلبان زوجة السلطان أم ولده، وأمر القاضي عبد الباسط في ذي القعدة بحفر بئر بعيون القصب من طريق الحجاز، فعظم النفع بها.

واشترى القاضي عبد الباسط بمكة الدار التي على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب العجلة، وأمر أستاذ داره ركن الدين عمر الشامي بأن يقيم بمكة المشرفة ويعمرها مدرسة، وكانت هذه الدار مدرسة للأمير أرغون الناصري نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، فاستولى عليها الأشراف أولاد راجح ابن أبي نُمَيٍّ وباعوها في هذه السنة[١]. فاشتراها القاضي عبد الباسط.

وهي المدرسة المعروفة بالمدرسة الباسطية نسبة إلى القاضي عبد الباسط.

وكان قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات الشافعي: محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، قد ولي تدريس المدرسة الباسطية بمكة أول ما أنشئت في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، ثم عزل عنها في سنة سبع وثلاثين لما ولي القضاء؛ لأن واقفها شرط أن لا يكون مدرسها قاضيًا[٢].

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، للنجم عمر بن فهد (٤/٥٥- ٥٩)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تأليف عمر ابن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ (٣٣٥- ٣٤٠)، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون في مكة في هذا العصر أيضًا: المدرسة العُطَيْفِيَّة.

وفي سنة ٨٦١ عُمِّرَت المدرسة المعروفة بالعُطَيْفِيَّة، ببناية قاعة عظيمة، ومرافق كثيرة، ورواق كبير، وتحت بعض القاعة مما يلي المسجد حاصل كبير به خمش شفاقات- أي فتحات-، وفي القاعة وما يليها خمسة شبابيك كبار مطلة على المسجد، وذلك لزوجة السلطان زينب ابنة العلاء علي بن أحمد بن خاص بك. وفي هذه السنة حج ولد السلطان الأشرف إينال أحمد أميرًا للحج المصري وحج معه والدته بنت ابن خاص بك المذكورة، وأختاه، في تجمُّل زائدٍ على الحدِّ.[٣]

كما بدأت الصوفية تبني مدارس لها، ففي سنة ٨٦٥ أو ٨٦٦ استُؤجر لصاحب كِنباية غياث الدين محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه بن السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان شمس الدين مظفر شاه، البيتَ المعروف بأبي شامة، بين البيمارستان وباب الدريبة، الملاصق للمسجد، وبابه منه، وأُمِر بإنشائه مدرسة، فشُرع فيها في هذه السنة، وكمُلت في التي تليها، وجُعل بها قاعة لحضور التصوف بعد العصر، وخلاوٍ سفلية وعلوية، وطبقة ثالثة للفقراء، وسكنان علويان لشيخ الصوفية، وللناظر، وجُعل بها أيضًا صهريج يجتمع الماء فيه من سطح المسجد الحرام، والمتولِّي لجميع ذلك الخواجا السراجي عمر بن الظاهر، وجُعل بها تصوف بعد العصر عشرة أنفس من أهل مكة يقرءون ربعة، وشيخ لهم هو شيخ الحنفية والتصوف، وجُعل لبعض العلماء وأولادهم، وسكن بها الفقراء، وجُعل التصوف مدة وتُرِك بعده، قال ابن فهد في زمنه: «والآن الناس يستأجرون فيها مع وجود أوقافها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٤].

والحقيقة لم تكن هذه المدارسة وغيرها سوى مظهر من مظاهر الاهتمام الخاص بمكة المكرمة والحرمين الشريفين من جهة المماليك، الذين ساروا على نهج أسلافهم الأيوبيين في مسيرة الإصلاح ونشر السنة، ومن هنا انتعشت المدارس العلمية، وراجت الحالة الدينية في عصرهم في شتى البقاع.

وبدا هذا الاهتمام المملوكي بالكعبة ومكة في أفعال أمرائهم وملوكهم.

---

(٣) إتحاف الورى (٣٧٢/٤).

(٤) إتحاف الورى (٤٣٢/٤).

ففي سنة ٦٦١ «كسا الملك الظاهر بِيبَرْس الصالحي الكعبةَ الشريفة، وهو أول من كساها من ملوك الترك بمصر»[٥].

وفي سنة ٦٦٥ «حج الأمير الحلي من قِبَل الظاهر بيبرس، وتصدَّق على أهل مكة»[٦].

وفي سنة ٦٦٧ حج السلطان الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر، وصحبه جماعة من الأمراء، والعلماء، وقاضي القضاة- وهو حنفيُّ المذهب، وكان السلطان طول طريقه يستفتيه ويتبعه في أمر دينه-، وأظهر السلطان بيبرس في هذه الحجة عظيم الخصال، وأنفق المال الكثير، وتصدق في الحرمين بمال عظيم، على الفقراء والمجاورين، وفرَّق كساوى على أهل الحرم، وأعطى خواصّه جملة من المال ليفرّقوها سِرًّا، وغسل الكعبة الشريفة بنفسه، وسار في وسط الخلائق، وكلُّ من رمى إليه إحرامه غسله وناوله إيَّاه، وعلَّق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردَّد إلى من بالحرمين من الصالحين وأهل الخير[٧]، وسَبَّل الكعبة الشريفة في كل سنة، وأحسن كثيرًا إلى أمراء الحجاز؛ إلا أمير المدينة؛ لفرارها منه، وزاد أميري مكة مالًا وغلالًا في كل سنة بسبب تسبيل الكعبة الشريفة للناس.

وفي هذه الحجة تعهد أمير مكة للسلطان بيبرس بإسقاط الجبايات والمكوس عن الحجاج المصريين والشاميين، وأسقطها، ولم يعد يأخذ منهم شيئًا من الجبايات أو المكوس، فلا يأخذ شيئًا من فقيرهم أو تاجرهم أو أي إنسان منهم. وقدَّر المقريزي[٨] ما رتَّبه السلطان لصاحب مكة بعشرين ألف درهم نُقْرةً[٩] في كل سنة عوضًا عما من المكوس وأن لا يُمنع أحدٌ من دخول الكعبة، وأن يُخطب له بمكة والمشاعر، وتضرب السكة باسمه.

---

(٥) إتحاف الورى (٨٧/٣).

(٦) السابق (٩٠/٣).

(٧) قال المقريزي في الذهب المسبوك، ص (١٢٢): «وتردَّد إلى مَن بمكة والمدينة من أهل الخير يلتمس بركتهم ويسأل دعاءهم».

(٨) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تأليف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ص (١١٧)، تحقيق د. جمال الدين الشيّال، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٩) النقرة: الفضة. وينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (١٩٣/٤)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ، رحلة ابن بطوطة (١٧٧/٤، ١٩٥). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

وفي هذه الحجة كتب بيبرس إلى صاحب اليمن كتابًا ينكر عليه أمورًا، ويقول له: سطَّرْتُه من مكة المشرفة. ويقول: الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده، ويبذل نفسَه في الذَّبِّ عن حوزة الدين؛ فإنْ كنتَ ملكًا فاخرج والتقِ التتار(١٠).

وهي كلمات وحروف نورانية دالة على عظمة نفس هذا السلطان بيبرس وتمسكه بالدين، وعمله على نشره والذود عنه ضد الغزو التتري خاصة، وضد بقية أعدائه عامة.

وفي هذه السنة أراد السلطان عمل درابزين خشب حول الحجرة الشريفة، فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده، وقدره بحبال، وحملها معه، وعمل الدرابزين وأرسله في السنة التي تلي حجته هذه، أي سنة ٦٦٨، وأداره عليها(١١).

وفي هذه السنة أرسل المحمل وكسوة الكعبة ونفقات الرحلة والمؤونة فسارت قبله إلى مكة، فمنعهم أمير مكة من الدخول، وأظهر أنه لا يعبأ بالسلطان بيبرس، ثم اعتذر له بعد ذلك وسعى معه في مناسك الحج، وأكرمه، وأبطل المكوس والجبايات عن الحجاج إكرامًا للسلطان بيبرس(١٢).

(٣٠٣/٢) (١٢٩/٤)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (١١٥/١٦)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ (٢٥١/٢، ٢٩٧، ٣٠١)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

(١٠) إتحاف الورى للنجم ابن فهد (٩٤/٣- ٩٨)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي المتوفى سنة ١١١١هـ (٢٣٨/٤- ٢٣٩)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ (٤٨١/١٧)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٩/٢)، تحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى.

(١٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ المتوفى سنة ١٢٣٧هـ (٣٠/١)، الناشر: دار الجيل بيروت.

وأنعم على شيخ الخدام بالحجرة الشريفة بمائتي ألف درهم[١٣].

وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادا للشرع وله فتوحات وعمارات مشهورة ومآثر حميدة، ومنها ردّ الخلافة لبني العباس[١٤].

ونذكر هنا أيضًا السلطان ناصر الدين أبا المعالي محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون، المولود يوم السبت نصف المحرم سنة ٦٨٤، فلما حج ودخل مكة أظهر من التواضع والذلة والمسكنة أمرًا زائدًا، وسجد عند معاينته البيت سجود عبدٍ ذليلٍ، ولما عرض عليه القاضي أن يطوف راكبًا كما طاف النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يا قاضي ومن أنا حتى أتشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ والله لا طفتُ إلا كما يطوف الناس»، فطاف من غير أن يكون معه أحد من الحُجّاب، ومنع الحُجَّاب من منع الناس أن يطوفوا معه، فصار الناس يزاحمونه ويزاحمهم، كواحدٍ منهم حتى قضى طوافه وسعيه. وغسل الكعبة بيده، وأخذ أُزُر إحرام الحجاج وغسلها لهم بنفسه، وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوَّض أميري مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام، وأحسن إلى أهل الحرمين وأكثر من الصدقات[١٥].

ولم يقف الأمر عند حد السلاطين وشغفهم بالحرمين، بل تجاوز ذلك إلى الأمراء وباقي رجال الدولة.

ففي سنة ٧٢١ زار ناظر الجيش الحجاز، وتصدَّق في الحرمين باثني عشر ألف دينار. ومشى أحد الأمراء من مكة إلى عرفات على قدميه بهيئة الفقراء.

واعتنى آخر بحاج العراق، وغشّى المحمل بالحرير ورصّعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر[١٦].

وغير ذلك من التصرفات الدالة على عناية الدولة المملوكية بأمور المسلمين عامة، ومكة والحرمين بصفة خاصة.

---

(١٣) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، للمقريزي، ص (١١٩).

(١٤) الذهب المسبوك، ص (١١٩).

(١٥) السابق، ص (١٣٣)، السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (١٩٧/٢)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(١٦) السلوك للمقريزي (٢١٤/٢).

وفي هذا الجو ازدهرت الحالة الدينية والعلمية في العالم الإسلامي، خاصة في ظل وجود أئمة كبار وأعلام مشاهير؛ كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن رجب وابن جماعة وعشرات الرموز والقامات الكبيرة؛ لولا تسلط المذهب الحنفي، حتى إنهم حبسوا ابن تيمية ولما شفع له نائب الشام أُفرج عنه بعدما سُجن خمسة أشهر، وشُرط عليه ألا يُفتي بمسألة الطلاق[١٧].

ومع كل ما ذكرناه من نهضة علمية، فلم يخلو الواقع آن ذاك من انحرافات وبدع وخرافات لا تمد للشريعة بصلة، سواء في العالم الإسلامي عامة، أو في مكة خاصة، كما سنفصله في كلامنا الآتي.

(١٧) المصدر السابق (٢/٢١٥).

المبحث الأول

في الانحراف العقدي والخرافات والبدع

لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: الحج على المَحْمَل والاحتفال به.

المطلب الثاني: تعمير آثار النبوة وكسوتها وتتبُّعها.

المطلب الثالث: الاحتفال باستهلال الأهلة وشهر رمضان وعيد الفطر وإنشاد المدائح في المنائر ليلًا

المطلب الرابع: الاحتفال بالمولد النبوي.

المطلب الخامس: الاحتفال بطهار الصبيان.

المطلب السادس: قراءة القرآن وعمل الختمات للأحياء والأموات.

المطلب الأول

الحج على المَحْمَل والاحتفال به[١٨]

فقد كشف المؤرخون عن حب المماليك للكعبة المشرفة، ورغبتهم الأكيدة في خدمتها، وسار المحمل وكسوة الكعبة في أيامهم من القاهرة إلى الكعبة[١٩]. بل وقف أحد سلاطين المماليك لذلك أرضًا ومالًا لعمل كسوة الكعبة، فقال المقريزي في أحداث سنة ٧٥٤: «وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة وكانت تعمل بدار الطراز فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم. وأضيف إليها أراضي أخر مما تغل في السنة مبلغ ستين ألف درهم واستقر نظرها لوكيل بيت المال فاستمر ذلك فيما بعد»[٢٠].

---

(١٨) و(المِحْمِلُ) بوزنِ المِجْلِسِ واحدُ (مَحَامِلِ) الحاجّ. وهو الهودج والعدلان على جانبي الدَّابَّة يحمل فيهما، ويقال: ما على البعير محمل؛ موضع لشيء يحمل، وما على فلان محمل معول ومعتمد. ينظر: مختار الصحاح لأبي عبد الله، زين الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٨١)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، المعجم الوسيط (١٩٩/١)، مجمع اللغة العربية.

(١٩) السلوك لمعرفة دول الملوك، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، المقريزي (١٦٣/٢).

(٢٠) المصدر السابق (١٨٣/٤).

وصار لكسوة الكعبة عند المماليك ناظرًا يختص بشئونها وإدارة أمورها[٢١].

لكن جرت عادتهم في أن يطاف بالمحمل وكسوة الكعبة قبل خروجه من مصر[٢٢].

وقد ذكر المقريزي في أحداث سنة ٦٦١: «وفيها جهز السلطان في البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين وعدة أخشاب وغيرها من الآلات برسم عمارة الحرم النبوي. وعملت كسوة الكعبة على العادة وحملت على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة والفقهاء والقراء والصوفية والخطاء والأئمة. وسفرت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال وفوضت عمارة الحرم لزين بن البوزي»[٢٣].

وكذا قال ابن كثير في أحداث سنة ٦٧٥ : «وفي حادي عشر شوال طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة، وكان يوما مشهودا»[٢٤].

وعاد المقريزي ليؤكد هذا في أحداث ٧٨٥ بقوله: «وفيه دار المحمل بالقاهرة ومصر على العادة في كل سنة، واستجدّ له ثوب حرير أصفر بشمسات زركش فيها اسم السلطان، وعملت له رصافيات فضة مطلية بذهب، فجاء أحسن ما عهد قبل ذلك. وفيه عرضت كسوة الكعبة وقد استجد فيه أيضًا أن عمل طرازها الدائر بأعلاها من قصب»[٢٥]. وقال في أحداث سنة ٨٢٥: «وفي يوم الاثنين سادس عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على ما جرت به العادة. وقد كثر الاعتناء بأمره وعملت كسوة الكعبة في غاية الحسن بحيث لم يعمل مثلها فيما أدركناه. وولي عملها شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله ناظر الكسوة لحسن مباشرته وعفته»[٢٦].

---

(٢١) المصدر السابق (٣٨٢/٥) (٤٢٨/٦) (٤٢/٧، ٤٨).

(٢٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٨٦/١٤).

(٢٣) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي (٥٦٢/١).

(٢٤) البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٥٢٤/١٧).

(٢٥) السلوك للمقريزي (١٥٤/٥).

(٢٦) السلوك للمقريزي (٥٩/٧). وانظر فيه أيضًا (٦٦/٧، ١١٧، ١٣٠، ١٥٢، ٢١١).

وكان الحاج يأتي من بلاد المغرب ومن الإسكندرية ومن جميع أعمال مصر، ليلحق بركب المحمل، ويسير معه، وكذلك كان أمراء الحاج وغيرهم من الأمراء والملوك الذين ينوون الحج يسيرون مع الركب إلى مكة، كما يلحق بهم الحاج الذي في طريقهم من البلاد التابعة للمماليك أيضًا[٢٧].

كما جرت العادة بأن يُوَدَّع المحمل وكسوة الكعبة عند السفر، ويُستقبل المحمل ويحتفل به عند عودته من الأراضي الحجازية[٢٨]. ويجهز المحمل ويُخلع على المتوجّه به إلى الحجاز من الأموال والغلال وغيرها لجرايات الصناع والإنفاق على الفقراء والمحتاجين وأهل مكة[٢٩].

ولما حاول شاه رُخّ[٣٠] ابن تيمور لنك صاحب ممالك العجم أن يستأذنهم في عمل كسوة الكعبة جاءه جواب المماليك بأن العادة قد جرت ألا يكسوها إلا ملوك مصر، والعادة قد اعتبرت في الشرع في مواضع[٣١]، وأن للكسوة أوقافا «٨» تقوم بعملها، لا يحتاج إلى مساعدة في ذلك[٣٢].

وقد كتب ابن تيمور لنك للسلطان المملوكي غير مرة والسلطان لا يلتفت لطلبه هذا، ولما كتب ابن تيمور لنك كتابًا أرعد فيه وأبرق؛ كتب له السلطان بأجوبة خشنة مشحونة بالتوبيخ والوعيد والبهدلة، حتى إنه كلما ورد منه كتابٌ وأجابه السلطان بتلك الأجوبة الخشنة لا يشك

---

(٢٧) السلوك للمقريزي (٢٦٩/٧).

(٢٨) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، للحسن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهاشمي العبّاسي الصَّفَدِي (٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٣٩)، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، البداية والنهاية لابن كثير (٦٤٩/١٨، ٧٠٣).

(٢٩) السلوك للمقريزي (٣٢/٢) (١٤/٥).

(٣٠) رُخّ: بضمّ أوّله، وتشديد ثانيه: ربع من أرباع نيسابور، والعامة تقول: ريخ، وقال أبو الحسن البيهقي: سُمِّيت رُخّ لصلابة أرضها وحمرتها، وهي كورة تشتمل على مائة قرية وست قرى، وقصبتها بيشك، فيه سوق حسن إلّا أنّه ليس فيه جامع ولا منبر، ينسب إليها أبو موسى هارون بن عبدوس بن عبد الصمد بن حسّان الرُّخّي النيسابوري، سمع يحيى بن يحيى وعلي بن المديني وغيرهما، روى عنه أبو حامد بن الشرقي وغيره، ومات سنة ٢٨٥. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٨/٣).

(٣١) السلوك للمقريزي (٢٨٠/٧).

(٣٢) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٥٢/١٥).

الناس أنّ شاه رُخّ يرد إلى البلاد الشامية عقيب ذلك، فلم يظهر له خبر ولا نظر له أثر، وقد استخفّ الملك الأشرف بشأنه حتى إنه صار إذا أتاه قاصده لا يلتفت إليه ولا إلى ما في يده من الكتب بالكلية[٣٣].

وإذا كان هذا هو الحال عند خروجه وعودته من بلده، وفي مسيرته إلى مكة، فكيف عند وصوله إليها؟.

وعلى الجانب الآخر في مكة؛ يصف ابن بطوطة مشهد الكسوة؛ فيقول: «وفي يوم النّحر بُعِثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم، فوُضعت في سطحه، فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشّيبيون في إسبالها على الكعبة الشريفة، وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان، وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا ﴾[٣٤] الآية، وفي سائر جهاتها طرز مكتوبة بالبياض فيها آيات من القرآن، وعليها نورٌ لائح مشرق من سوادها.

ولما كُسيت شمّرت أذيالها صونا عن أيدي الناس، والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويبعث مرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم الشريف من الشمع والزيت في كلّ سنة.

وفي هذه الأيام تُفتح الكعبة الشريفة كلّ يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي، وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين: الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم. ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا، فمَن لَقَوْهُ في الحرم من المجاورين أو المكيين أَعْطَوْه الفضّةَ والثياب، وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة، وربما وجدوا إنسانًا نائما فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق! ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلوا من ذلك كثيرا، وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة، وانتهى صرف المثقال إلى ثمانية عشر درهم لكثرة ما تصدّقوا به من الذهب»[٣٥].

---

(٣٣) المصدر السابق (١٤/٣٦٨).

(٣٤) سورة المائدة آية: ٩٧.

(٣٥) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن

ولاشك في أن الصدقة والتصدُّق مما يُمْدَح ولا يُذم، لكن لم يُعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد صحابته الكرام رضي الله عنهم، شيئًا من هذه الاحتفالات الخاصة بالمحمل، وكسوة الكعبة، سواء في سفره من بلده الذي يأتي منها، أو عند وصوله لمكة المكرمة، فكيف إذا احتوت هذه الاحتفالات على اختلاط الرجال بالنساء، والنظرة للمحمل بشيء من التبرُّك ونحو هذا مما لا يصح به الشرع.

وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام في مادة «رَحْل»: «في حديث عبد الله- رحمه الله-: (إِنَّمَا هُوَ رَحْل وسَرْج، فَرَحْل إلى بيت الله، وسَرْج في سبيل الله). قولُه: (فَرَحْلٌ إلى بيت الله): أرادَ أَنَّ البيت إِنَّمَا يُزار على الرّحال؛ كَأَنَّهُ كره المِحْمَل وذلك أَنَّه مِمَّا أَحْدَث الناس»[٣٦].

وقد كَرِهَ جماعةٌ من السلف الحج على المِحْمَلِ منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٣٧]. وقال محمد بن سيرين: «كان يُكْرَهُ الحجُّ على المِحْمِلِ فيقول: إِنَّمَا كان الناسُ يَحُجُّونَ على الأَقْتَابِ[٣٨] والرِّحَالِ»[٣٩].

كما نبه آخرون على ما يجري في الاحتفالات الخاصة بالمحمل من مفاسد، مثل تزيين الدكاكين والأسواق بالحلي والحرير، واختلاط الرجال بالنساء، وخروج النساء مع الرجال إلى أماكن

محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة (٤١٠)، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

(٣٦) غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلام الهروي (١١٣/٤، ١١٤)، المحقق: د.محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

(٣٧) المصَنَّف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (٧٧٩/٨)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار القبلة، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٨١٦/٢)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٣٨) جمع قَتَب، وقَتَب البعير إذا كان مما يُحمل عليه، يكون فوق ما يُوطأ به على ظهر البعير للأعمال، وهو الصغير الذي على قدر سَنَام البعير والركاب. ينظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (٥٩/٥)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي (٤٥)، تحقيق: د: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٣٩) المصنف لابن أبي شيبة (٧٨١/٨).

بعيدة وقد تكون مظلمة، للدوران خلف المحمل، والاحتفال به، ووقوع المعاصي والمفاسد بسبب ذلك. ووجه آخر وهو إيقاد القناديل والشموع نهارًا يوم دوران المحمل، وفي ذلك من إضاعة المال ما فيه[٤٠].

المطلب الثاني

تعمير آثار النبوة وكسوتها وتتبُّعها

وإذا كانت العادة كما ذكر المؤرخون قد جرت على كسوة الكعبة[٤١]؛ فقد ذكروا ما يفيد عدم اقتصار هذه الكسوة على الكعبة المشرفة، وتجاوز الأمر ذلك إلى كسوة بعض آثار النبوة أيضًا.

وقد ذكر المؤرخون في سنة ٦٥٧ هـ تولِّي يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وهو الملك المظفر صاحب اليمن، أَمْرَ الحرم وعِمارته، وإقامة مناره، وفي سنة ٦٥٩ حج الملك المظفر، فعمَّتْ صدَقَتُه بيوت مكة، وأحسن إلى الحاج، ونثر الذهب والفضة على الكعبة، وغسلها، وحمل الماء بنفسه، وكساها، وكان يكسوها غالب السنين، وعمل بابًا للكعبة، وقد ظل هذا الباب فيها حتى أُبدِل في آخر سنة ٧٦٣ بالباب الذي بعث به الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، وأخذ بنو شَيْبَة حلية الباب الذي صنعه المظفر لها، فكانت ستين رطلًا فضة. وكان قد وجّه المظفر سنة ٦٦٦ بنحو مائة ألف لعمارة الحرم، وحلية باب الكعبة بالذهب والفضة، فجرى ذلك كما ذكرناه.

وبقيتْ آثار المظفر في مكة فترة طويلة، منها عمارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمارة مأذنة مسجد الخيف، وتجديد مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بالطائف في سنة ٦٧٥.

وكان المظفر قد أرسل في سنة ٦٦٦ كسوة للكعبة المعظمة، وللحجرة الشريفة النبوية[٤٢].

---

(٤٠) المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٢٧٢/١ – ٢٧٥)، الناشر دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٤١) ينظر ما ذكرناه في المطلب السابق والتمهيد الذي قبله.

(٤٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ (٤٨٨/٧ – ٤٨٩)، المحقق: فؤاد سيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، إتحاف الورى لابن فهد (٩١/٣ – ٩٢).

فلم يقتصر على كسوة الكعبة فقط؛ بل أضاف إليها كسوة الحجرة الشريفة أيضًا.

وكان بعض الناس ربما لقي حتفه بسبب تتبُّعه لهذه الآثار النبوية، كما هو الحال فيمن أراد دخول الغار الذي بجبل ثور، ولم يكن يتسع لأن يدخله الإنسان على راحته، فكان ربما انحبس فيه من يلجه، وكان تَغْرِي بَرْمَش لما جاور بمكة في سنة ٨١٠ أو قبلها بقليل، أو بعدها بقليل؛ سدَّ الباب الضيق من الغار الذي بجبل ثور بأسفل مكة؛ لكون كثير ممن يريد دخوله من بابه الضيق؛ انحبس فيه لما ولج فيه، وانتقد عليه ذلك كثيرًا الشيخ شمس الدين محمد الخوارزمي المعروف بالمِعِيد، إمام الحنفية بالمسجد الحرام، ومنعه من الأخذ عنه، حتى يزيل ما سدَّه ويُحْدِث توبةً[٤٣].

لكن المقصود بيان ما ذكره المؤرخون حول ما كان يفعله الناس في تتبعهم هذا الأثر النبوي، وحبهم دخوله، وانحباس بعضهم فيه لضيق مدخله، مما دفع بعض العلماء والمحتسبين لأنْ يسدّه فتحته سدًّا لهذا الباب على هؤلاء المتتبِّعين له.

وفي سنة ٨٢١ جرى تعمير دار الخيزران عند الصفا[٤٤].

المطلب الثالث

الاحتفال باستهلال الأهلة وشهر رمضان وعيد الفطر وإنشاد المدائح في المنائر ليلًا

وقد جرت عادة أهل مكة- فيما ذكره المؤرخون- على إنشاد المؤذنين للمدائح النبوية وغيرها في المنائر ليلًا، والاجتماع في المسجد الحرام، وإيقاد مشاعل المقامات التي بالمسجد الحرام، خاصة في العشر الأواخر من رمضان، وليلة العيد وليلة هلال شهر رجب، وليلة هلال شهر ربيع الأول وغيرها، وإحضار الأئمة الصغار سنًّا لإمامة الناس وختم القرآن في رمضان.

وكانت هذه الاحتفالات والاجتماعات باستهلال الأهلة، أو بالليالي المشهودة مثل ليلة النصف من شعبان أو أواخر رمضان أو غير ذلك، كان ذلك كله يشهد اجتماعًا وحشدًا كبيرا من الرجال والنساء، واختلاط الرجال بالنساء، وغير ذلك من المنكرات.

---

(٤٣) المصدر السابق (٣٩٢/٣).

(٤٤) إتحاف الورى (٥٦١/٣).

وقد ظل العمل على هذه الانحرافات فترة طويلة من الزمان، حتى بزغ تَغْري بَرْمش بن يوسف بن المحب التركماني الحنفي، وكان رجلًا عالمًا خبيرًا، عُنِي في بلاده بالعلم، ثم قدم القاهرة شابًّا، وعُنِي فيها بفنون العلم أيضًا، وأخذ بها عن جماعة من الأكابر، منهم الشيخ جلال الدين التَبَّاني الحنفي وغيره، وداخل الأمراء الظاهرية، وصارت له عُصبة، وكان يتعصب للحنفية مع محبته لأهل الحديث والتنويه بهم وتعصبه لأهل السنة، وإكثاره الحط على ابن العربي ونحوه من متصوفي الفلاسفة، ومبالغته في ذلك بحيث صار يحرق ما يقدر عليه من كتبه؛ بل ربط مرة كتاب الفصوص في ذنب كلب، وكان قد سأَلَ عن ابن عربي وعن كتبه شيخَ الإسلام سراج الدين البُلْقِيني وغيره من أعيان علماء المذاهب الأربعة بالقاهرة، فأفتوه بذم ابن عربي وكتبه وجواز إعدامها، فصار يُعلن ذم ابن عربي وأتباعه وكتبه، ويكرر ذلك عصرًا بعد عصر، وصارت له بذلك سوق نافقة عند كثيرين، وقام عليه جماعة من أضداده فما بالي بهم، مع أنه لم يكن بالماهر في العلم، ولما تسلطن المؤيَّد عَرِفَهُ فقرّبه وأكرمه، واستأذن في الحج والمجاورة فسافر إلى مكة فأقام بها من سنة سبع عشرة إلى أن مات، وتزايد جاهه، وكتب له المؤيَّد مرسومًا يتضمن الإذن له في إنكار المنكرات المجْمَع عليها، وأن يُعينه على ذلك الحُكَّام، وكان يُرسل إليه في كل سنة من السنين التي جاور فيها بالحرمين بصلةٍ تقوم بكفايته، وجرت له على يده صدقات بالحرمين، منها صدقة من القمح في سنة ٨١٧، وصدقة من الذهب في سنة ٨١٨، وصدقة من الدراهم المؤَيَّدية والقمصان فيما بعد ذلك، وكان يخطئ كثيرًا في صرْف ذلك؛ لإعطائه من ذلك جانبًا طائلًا لمن لا يستحق، أو لتفضيله من لا يستحق على من يستحق في العطاء، ونالته الألسنة بسبب ذلك كثيرًا، وبسبب قيامه في هدم البدع الاعتقادية والمنكرات؛ متعصِّبًا للسنة.

وقام في سنة ٨١٨ بمنع المؤذنين من المدائح النبوية وغيرها من المنائر ليلًا، ومنع المداحين من إنشاد ذلك في الأوقات التي جرت عادة الناس بكثرة الاجتماع فيها بالمسجد الحرام، ومنعه الخطباء من الصغار في ليالي ختم القرآن العظيم، في شهر رمضان، وإيقاد مشاعل المقامات التي بالمسجد الحرام، في الأوقات التي جرت عادة الناس بها في العشر الأخير من رمضان، وليلة العيد، وليلة هلال شهر رجب، وليلة هلال شهر ربيع الأول وغيرها؛ لما يحصل للمصلين والطائفين من كثرة التشويش، بسبب ارتفاع أصوات المشار إليهم، ولما يحصل من كثرة اجتماع الرجال والنساء لسماع الخطب، ورؤية الوقيد، واختلاط الرجال بالنساء، وما في ذلك من المنكرات، فقام سنة

٨١٨ بمنع ذلك كله، بعد أن وافقه على ذلك جماعة من فقهاء مكة، وكتبوا له خطوطهم بذلك، كما كتب له بمثل ذلك غيرهم من علماء القاهرة.

ثم إنّ بعض من كتب له من فقهاء مكة؛ حمله ما جُبِل عليه من كثرة الهوى وحط النفس على أَنْ قال بخلاف ما كتب به خطّه؛ لمجرد مخالفة تَغْرِي بَرْمَش له في هواه، وسعى عند بعض حكام مكة من جهة الدولة في الإذن في إيقاد مشاعل المقامات مرة أخرى، والمديح في ليلة هلال رجب من سنة ٨٢٠، فوافقه الحاكم على ذلك، وفعل ذلك في الليلة المذكورة.

ولما عرف تَغْرِي بَرْمَش بالوقيد؛ خرج من منزله بالمدرسة المجاهدية بمكة لمنع ذلك، ولم يكن له علم بموافقة الحاكم المشار إليه على ذلك، فناله من العامة أذًى عظيم، من عظيم الذم، بل ربما أوقع به الفعل بعض العوام، ولولا دفع بعض من يعرفه من الترك عنه لكثُر تضرُّره مما ناله من ذلك، وكان ذلك في غيبة صاحب مكة أي حاكمها عنها، فلما حضر إليها؛ أنكر على من أَمَر به أو أشار به من جهته وغيرهم، وأمر باتّباع اختيار تَغْرِي بَرْمَش في ذلك، فلم يتجاسر أحدٌ على فعل ما يخالفه، حتى مات تَغْرِي بَرْمَش، إلَّا أنّ بعض المؤذّنين والمدّاحين ربما مدحوا في أوقات قليلة، بعضها بحضرة تَغْرِي بَرْمَش، وكثيرٌ منها في غيبته(٤٥).

وقد كان أهل مكة يتطاولون في هذه الاحتفالات، ويكثرون منها، ومما يفعلونه فيها، وقد أطال ابن بطوطة في بيان هذه الاحتفالات في المناسبات المختلفة، وما اعتاده أهل مكة فيها.

فكان من **عادتهم في استهلال الشهور**:

أن يأتي أمير مكّة في أول يوم من الشهر وقواده يحفّون به، وهو لابس البياض، معتمّ متقلد سيفًا وعليه السكينة والوقار، فيصلّي عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبّل الحَجَر، ويشرع في طواف

(٤٥) العقد الثمين (٣٨٨/٣ – ٣٨٤)، إتحاف الورى (٥٢٧/٣، ٥٢٨)، إنباء الغمر بأبناء العمر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ (٢٢٧/٣)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ (٣١/٣)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ (٢٣٣/٩)، حققه: محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

أسبوع، ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم، فعندما يكمل الأمير شوطًا واحدًا ويقصد الحجر لتقبيله؛ يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له، والتهنئة بدخول الشهر، رافعًا بذلك صوته، ثم يذكر شعرًا في مدحه ومدح سلفه الكريم، ويفعل به هكذا في السبعة أشواط، ومثل هذا سواء يفعل إذا أراد سفرا وإذا قدم من سفر أيضًا.

وأما **عادتهم في شهر رجب:**

فإذا أهل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات إشعارًا بدخول الشهر، ثم يخرج في أول يوم منه راكبًا ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب، وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه، والفرسان يجولون ويجرون، والرجالة يتواثبون، ويرمون بحرابهم إلى الهواء ويلقفونها، ومعه أولاده ووجوه القواد، وبين أيديهم الرايات والطبول، وعليهم السكينة والوقار[٤٦]، ويسيرون حتى ينتهون إلى الميقات، ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام، فيطوف الأمير بالبيت، والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط على ما ذكرناه من عادته، فإذا طاف صلّى ركعتين عند الملتزم، وصلى عند المقام وتمسّح به وخرج إلى المسعى فسعى راكبا والقواد يحفون به، والحرّابة بين يديه، ثم يسير إلى منزله.

وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد، ويلبسون فيه أحسن الثياب، ويتنافسون في ذلك.

وأما عمرة رجب:

فإنّ أهل مكة يحتفلون بها الاحتفال الذي لا يُعهد مثله، وهي متصلة ليلًا ونهارًا، وأوقات الشهر كلّه معمورة بالعبادة، وخصوصًا أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرون، فإنهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام.

وفي ليلة السابع والعشرين منه تغص شوارع مكة بالهوادج، عليها كساء الحرير والكتان الرفيع، كل أحد يفعل بقدر استطاعته، والجمال مزينة مقلّدة بقلائد الحرير، وأستار الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض، فهي كالقباب المضروبة ويخرجون إلى ميقات التنعيم، فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج، والنّيران مشعلة بجنبتي الطّريق، والشمع والمشاعل أمام الهوادج، والجبال تجيب بصداها إهلال الملبين، فترقّ النفوس وتنهمل الدموع، فإذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت، خرجوا إلى السعي

(٤٦) كذا وصفهم ابن بطوطة، ولا ندري أي سكينة ووقار تحت قرع الطبول؟!.

بين الصفا والمروة بعد مُضِيّ هزيع من الليل، والمسعى متّقد السرج غاصّ بالناس، والساعيات في هوادجهن، والمسجد الحرام يتلألأ نورًا، وهم يسمون هذه العمرة بالعمرة الأكمية، لأنهم يحرمون بها من أكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه.

وأهل الجهات الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها وتعمّهم المرافق. وبلاد السّرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد، وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد، وهم إذا طافوا بالكعبة لا يتمكن لغيرهم الطواف معهم ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك.

وأما **ليلة النصف من شعبان**:

فهي ليلة من الليالي المعظمة عند أهل مكة، يبادرون فيها إلى أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتمار، جماعات وأفذاذًا، ويجتمعون في المسجد الحرام جماعاتٍ؛ لكل جماعة إمام، يوقدون السرج والمصابيح والمشاعل، ويقابل ذلك ضوء القمر يتلألأ الأرض والسماء نورًا، ويصلون مائة ركعة يقرءون في كل ركعة بأم القرآن، وسورة الإخلاص يكررونهما عشرًا[٤٧]، وبعض الناس يصلّون في الحِجْر منفردين، وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتمار.

وأما **شهر رمضان المعظم**:

فإذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدّبادب عند أمير مكة، ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نورًا، ويسطع بهجة وإشراقًا، وتتفرّق الأئمة فرقًا، وهم الشافعية، والحنفية، والحنبلية، والزيدية، وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من القراء: يتناوبون القراءة، ويوقدون الشمع، ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعته، فيرتج المسجد لأصوات القراء.

ويحضر القاضي والفقهاء والكبراء ختم القرآن الكريم، ويكون الذي يختم بهم أحد أبناء كبراء أهل مكة، فإذا ختم نُصِب له منبر مزين بالحرير، وأُوقد الشمع وخطب، فإذا فرغ من خطبته

(٤٧) ولا سند لهذا كله في الشريعة.

استدعى أبوه الناس إلى منزله فأطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلوى، وكذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر، وأعظم تلك الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين، واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي، ويختم بها القرآن العظيم، خلف المقام الكريم، وفي تلك الساعة يمسك جميع الأئمة عن التراويح تعظيمًا لختمة المقام، ويحضرونها متبركين فيختم الإمام في تسليمتين ثم يقوم خطيبا مستقبل المقام، فإذا فرغ من ذلك عاد الأئمة إلى صلاتهم وانفضّ الجمع، ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المالكي في منظر مختصر، وعن المباهاة منزّه موقر، فيختم ويخطب.

وأما **شهر شوال**:

وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات فعادتهم أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله، ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان، وتوقد السرج في الصوامع من جميع جهاتها، ويوقد سطح الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى أبي قبيس، ويقيم المؤذنون ليلتهم تلك في تهليل وتكبير وتسبيح، والناس ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء، فإذا صلّوا صلاة الصبح، أخذوا في أهبة العيد ولبسوا أحسن ثيابهم، وبادروا لأخذ مجالسهم بالحرم الشريف، وبه يصلون صلاة العيد لأنه لا موضع أفضل منه.

ويكون أول من يبكّر للمسجد الشّيبيون، فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في عتبتها وسائرهم بين يديه، إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقّونه ويطوف بالبيت والمؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم على العادة رافعًا صوته بالثناء عليه والدعاء له، ثم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين، والفرقعة أمامه، وهو لابس السواد فيصلي خلف المقام الكريم، ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة، ثم إذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار، ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجًا، ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلّى تبرّكًا بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون.

فإذا كان في **أول يوم من شهر ذي الحجة**:

تُضرب الطبول والدّبادب في أوقات الصلوات، وبكرةً وعشيةً؛ إشعارًا بالموسم المبارك، ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات، فإذا كان اليوم الثامن بكّر الناس بالصعود إلى منى، وأمراء

مصر والشام والعراق وأهل العلم يبيتون تلك الليلة بمنى، وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع، ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائمًا[٤٨].

ولم تقف هذه الاحتفالات والطبول عند أوائل الشهور فيما ذكره المؤرخون.

بل امتدت لتشمل بيوت الأمراء أيضًا، حتى إن الطبول كانت تضرب على باب بيت أميري مكة كل يوم عند صلاة المغرب أبان رحلة ابن بطوطة إلى مكة[٤٩].

المطلب الرابع

الاحتفال بالمولد النبوي

وقد سار المماليك في هذا على نهج أسلافهم الفاطميين يعني في إحياء الاحتفال بالمولد النبوي دون نكير، وكان الاحتفال يخرج في زفة مشهودة يحضرها القضاء والفقهاء والتجار والخلق.

ففي ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة ٩٠٣ هـ كانت الزفة لأجل المولد الشريف، ومشى مع الناظر قاضي القضاة الشافعي، والقاضي المالكي والفقهاء، والأمير الباش أبو يزيد، والأمير المحتسب سودون الفقيه، والترك وغيرهم، وكان الوقيد أقل من العادة؛ بل وعمل المقدم ردكًا على العادة، فأمر القاضي الشافعي زفة بعد العصر يوم الاثنين، فقلع في الحال[٥٠].

وفي ربيع الأول سنة ٩٠٥ هـ، وفي ليلة الجمعة، ثاني عشر الشهر، كانت زفة المولد، كبيرها الناظر قاضي القضاة الشافعي، ومعه القاضيان، والخطيب، والباش، والمحتسب، والفقهاء، وبعض الترك، وكان شمعها قليلًا بالنسبة للعادة[٥١].

وأهل ربيع الأول ليلة الجمعة سنة ٩٠٦ هـ وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر الشهر، كانت الزفة المباركة لتوجه ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة الشافعي، ومعه القاضيان الحنفي النويري بن ا لضياء، والمالكي النجمي بن يعقوب، والباش قانصوه الجوشن، والفقهاء والمماليك والخلق الكثير؛ على العادة.

---

(٤٨) رحلة ابن بطوطة (١/٣٩٩- ٤٠٥).

(٤٩) المصدر السابق (١/٣٨٦).

(٥٠) بلوغ القرى لابن فهد (٢/٦٧٧).

(٥١) المصدر السابق (٢/٧٦٥).

وفي صبيحتها: الزفة الصغيرة لزيارة المواليد[٥٢]، وكبيرها القاضي الشهابي أحمد بن المرحوم البرهاني، ثم المولد ببيت الناظر القاضي المذكور، وعمل سماط، وحضر الناس كلهم إلا القليل، وكان السيد الشريف الزيني بركات وأخوه السيد هزاع بمكة، وزارا المولد الشريف، ثم توجها إلى جهة اليمن[٥٣].

وأما في ربيع الأول سنة ٩٠٧ هـ فقد وصل إلى مكة عصر السبت حادي عشر الشهر: السيد بركات، وزار المولد بعد المغرب، وجلس بسبيل البوني ينتظر الزفة، وكانت زفة هائلة بشمع كثير مشاحب وغيرها[٥٤].

لكنه في ربيع الأول سنة ٩٠٨ وفي ليلة العشر، لم يحضر الزفة إلا المحتسب، وحميضة، ويحيى ابن سبع، وصياف بن محمد بن علي، وطلب القضاة والفقهاء فلم يحضروا[٥٥].

وفي ليلة الاثنين من ربيع الأول سنة ٩٠٩ هـ، ثاني عشر الشهر؛ كانت زفة المولد، ومشى فيها الناظر القاضي الشافعي، ومعه القاضيان الحنفي والمالكي، والأمير شاهين، وباش الترك بكباي، والفقهاء، وكان زفة الصبح ومشى فيها وعمل المولد القاضي الشافعي على العادة، لكن بأطعمة يسيرة وترك الحلاوة، فتشوش الترك لذلك، وشوشوا عليه بالكلام وغيره إلى أن أرضاهم[٥٦].

المطلب الخامس

الاحتفال بطهار الصبيان

ولم تقف الاحتفالات التي ذكرها المؤرخون عند المناسبات السابقة في استهلال الأهلة أو أيام رجب أو رمضان أو غير ذلك.

إنما امتدت الاحتفالات- فيما ذكره المؤرخون- لمناسبات أخرى كالطهار.

---

(٥٢) يعني مولد فاطمة في دار خديجة رضي الله عنهم، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقرب من مولد النبي صلى الله عليه وسلم، إلخ.

(٥٣) بلوغ القرى لابن فهد (٧٩٩/٢).

(٥٤) السابق (٨٥٣/٢).

(٥٥) السابق (٩١٢/٢).

(٥٦) بلوغ القرى لابن فهد (٩٧٥/٢).

ومن ذلك ما جرى في يوم الثلاثاء التاسع من شهر شعبان سنة ٩٠٥هـ بمناسبة طهار ولد القاضي المالكي، وفي هذا اليوم شُرع في اللعب، فلعبوا بالنقارة بعد العصر والعشاء، ودار الأطفال بالفوانيس والمشاعل.

وفي ثاني يوم حضر القاضيان الشافعي والحنفي، وغالب جماعة الأول، والخطيب، وبعض الفقهاء، والتجار، وجاءت المؤذنة وحصل لها لصق قريب الثلاثين، والمعروف منه ستة وعشرون أو سبعة، وقدم للناس حلاوة فأكلوا وانصرفوا، واستمر اللعب إلى ليلة الجمعة.

وفي هذه الليلة؛ كانت الزفة للطهار من الصفا إلى بيتهم، حضر فيها القضاة، والخطيب، والمحتسب، والفقهاء، والتجار، وخلقٌ كثير؛ إلَّا أنّ القاضي الشافعي نزل إلى المسجد من باب العباس وقال: إنه تعب واستراح ساعة في المسجد، ثم من باب المسجد سبقهم إلى البيت راكبًا، وكان الناس كثير، والشمع كذلك، وعمل النقط عند البيت، وكان الراكبون سبعة، ولد القاضي، وخاله، وولد ولد أصيل وبعض مولدين وغيرهم[٥٧].

وأكثر ما كان يُفعل ذلك في ربيع الأول، ففي ربيع الأول ليلة الاثنين سنة ٩٠٥ هـ في أوائله، شرع في اللعب لطهار ابن قاضي القضاة الحنفي وأخيه[٥٨].

وفي ليلة الاثنين، خامس عشرة من الشهر نفسه كانت زفة طهار بديع ولد قاضي القضاة النوري بن الضياء الحنفي، وأخيه نور الدين، من الصفا، إلى محلهم ببيت نائب جدة. وكان فيها القضاة، والخطيب، وا لمحتسبان، والفقهاء، والتجار وغيرهم، وكانت حافلة، وشمعها كثير جدًّا، وكانت ليلة بهجة، وكان بها نقط، وبعد وصولهم لمحلهم وتفرّقهم؛ حصل مطهر ابنتهج به الناس لاحتياجهم إليه.

وفي صبح يوم الخميس، ثامن عشرة الشهر، كان الختان المبارك، بعد عمل زفة لطيفة من بيتهم، كان فيها القاضي الحنفي والخطيب، وحضر الختان القاضيان الشافعي، والمالكي، والخطيب وبعض الفقهاء والتجار وأناس قليلون، وحصل منهم لصق حصل به إرتفاق، أعطي الشافعي اثني

(٥٧) بلوغ القرى لابن فهد (٢/٧٧٨).

(٥٨) المصدر السابق (٢/٧٦٥).

عشر، والمالكي ثمانية، والخطيب عشرة، وبعض التجار عشرة عشرة، وبعضهم خمسة، وبعضهم ثلاثة واثنان.

ولما طلع النهار؛ كان السماط، وكان حافلًا، فيه الهريسة والفستق والمامونيتان، والجرجانية، والمشورات، وخردفان جوكة وغير ذلك من الأطعمة، ودُعي له جميع الناس أو غالبهم، وحضر غالب الناس من الرؤساء والقضاة والفقهاء والتجار وغيرهم[٥٩].

وفي يوم الخميس، خامس عشري الشهر، شرع في لعب طهار الفضيل بن الزيني عبد الباسط بن ظهيرة[٦٠].

ولما أهلّ ربيع الثاني ليلة الثلاثاء سنة ٩٠٥هـ وفي هذه الليلة كانت زفة الطهار، من الصفا، ومشى فيها القضاة الثلاثة، والخطيب والمحتسبان والفقهاء والتجار والغرباء وخلقٌ، وكان الناس كثيرون وكذا الشمع والنقط.

وفي صبح يوم الأربعاء، ثاني الشهر؛ كان الطهار بعد زفة من سبيل كاتب السر بالمروة إلى دارهم، مشى فيها جمعٌ كثير من التجار والفقهاء، وحضروا الطهار مع القضاة والفقهاء والخطيب والمحتسب، وكان ذلك ببيت القاضي عفيف الدين عبد الله بن ظهيرة، وحصل لصق كثير، أُعطي القاضي الشافعي سبعة عشر دينارًا، والقضاة والخطيب وكبير التجار وبعض الفقهاء عشرة عشرة، وبعض التجار خمسة عشر، وبعض الناس خمسة خمسة، وبعضهم أربعة، وكان السماط كعادتهم أو قريبًا من ذلك، وصرف المواجب أقل من عوائدهم[٦١].

وأهل ربيع الآخر سنة ٩٠٧ هـ ليلة الجمعة، وفي يوم الجمعة المذكور؛ شرع في مقدمات ختان تاج الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي، فعمل بعد صلاة الجمعة بحارة البهلوان عند السويقة تحت قاعة قاضي القضاة والتجار وغيرهم، وقُدِّم لهم المعمول، وكان يومًا مشهودًا، وكان القضاة والفقهاء والتجار يحضرون كل يوم في الفازة، من الصبح إلى قرب

(٥٩) بلوغ القرى لابن فهد (٢/٧٦٦- ٧٦٧).

(٦٠) المصدر السابق (٢/٧٦٨).

(٦١) المصدر السابق (٢/٧٦٨ – ٧٦٩).

الظهر، ومن العشاء إلى جانب من الليل، ويلعب المطربون بالليل، ويجيئون من المدعى في زفة كبيرة بالمفرعات والشموع والمشاعل.

وفي ليلة الاثنين رابع الشهر؛ كانت زفة الحناء من المدرسة الجمالية إلى الفازة، مشى فيها القضاة، والخطيب، والفقهاء والتجار والمتسببون وكان خلقًا كثيرًا، وبها من الشموع والكفوف والمشاحب والمفرعات والمشاعل ما لا يُحصى، وعمل النقط في ثلاثة مواضع.

وفي ليلة الأربعاء رقص جماعة بالفازة، فالصق التجار عليهم نحو سبعين دينارًا فيما يقال.

وفي ليلة الخميس كان الشراع فزيد في الوقيد بالفازة، ورقص جماعة فالصق بهم التجار عليهم نحو المائة دينار.

وفي صبح هذه الليلة عمل زفة لطيفة من المروة إلى الفازة، مشى فيها القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم، وعمل نقط بالمروة والسويقة، وختن الولد وجماعة، وحضر القضاة والفقهاء والتجار فألصق على العادة، فالقاضي الحنفي نور الدين ابن الضياء عشرون، والقاضي المالكي عشرون، والجلال أبو السعادات المالكي عشرون، والخطيب ثلاثون، وخير الدين ابن أبي السعود عشرون، وحسن الظاهري عشرون، وقريب ابن شمس ثلاثون، والطاهر ثلاثون، والشيخ علي عشرون، وابن الزمن خمسون... وجملة ما ضبط سبمعمائة وعشرة.

وفي ليلة الخميس رابع عشرة الشهر عُملت زفة من الصفا لحناء طهار أولاد العيني شيخ أهل السفل، وزفة ثانية بغمرة علي ابن ناسوش من المروة إلى بيت نائب جدة بالشبيكة، بمفرعات وشموع وكفوف وغيرها، ومشاعل فيها بعض فقهاء، وعمل له نقط في محلين، وزواجه على أم الكرم بنت المعلم إسماعيل الحويزي الأسطنبولي.

وفي صبيحتها ختن الجمال محمد بن أبي الفضل بن عبد الله بن ظهيرة، بلا زفة؛ بل عمل بعض كفوف، وزف من رحبة بيتهم إلى داخل حوشهم، ومشى قدامه جماعتهم قاضي القضاة الجمالي أبو السعود، ومن دونه، وبعد الختان ألصق جماعته كل واحد على قدره[٦٢].

(٦٢) بلوغ القرى لابن فهد (٢/٨٥٤ – ٨٥٧).

المطلب السادس

قراءة القرآن وعمل الختمات للأحياء والأموات

وهذا أيضًا مما لا سند له في الشريعة، غير أنّ المؤرخين قد ذكروا وقوع هذا في مكة أثناء العصر المملوكي كما وقع فيها أثناء غيره من العصور.

فذكر الفاسي في ترجمة قاضي القضاة بمملكة شِيراز شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي الشافعي، أنه أقام بمكة، ولما حضر الحُجاج المصريون إلى مكة؛ وفاهم وخَدَم المِحْمَل المصري على العادة، وراعى مصالح الحُجّاج بحراستهم، ولما بلَغَه موتُ الملك إبراهيم بن الملك المؤيَّد صاحب مصر؛ أَمَر بالصلاة عليه والقراءة لأجله؛ وكان ابتداء القراءة في يوم الجمعة خامس شعبان، وصلَّى عليه في هذا اليوم بعد الجمعة صلاة الغائب، واستمرّت القراءة لأجله إلى صبيحة يوم الأحد الرابع عشر من شعبان، وكان يحضر للقراءة مع الناس مراتٍ كثيرة.

وفي ليلة منتصف شعبان؛ حضر مع الناس بالمسجد الحرام، وقرأوا ختمةً للسلطان الملك المؤيَّد ودُعِي له عقيب ذلك، وكتب بذلك مكتوبان[٦٣].

كذا ذكره الفاسي، وخالفه ابن فهد فذكر أن الذي أمر بذلك السيد بركات، فذكر ابن فهد في سنة ٨٢٣ : وفيها- في أول شعبان- وصل العلم بوفاة إبراهيم بن السلطان المؤيد، فتقدم السيد بركات إلى الخطيب يوم الجمعة وأمره بأن يصلي عليه صلاة الغائب؛ فصلَّى عليه، وأحضر الشريف ابن عجلان القضاة والفقهاء وقرأوا له ربعة شريفة تجاه باب الكعبة الشريفة؛ عشرة أيام صباحًا ومساءً، وكان انتهاء العشرة أيام يوم الرابع عشر من شهر شعبان، وجملة ما قُرئ في تلك العشرة الأيام ثمانون ختمة؛ لأنه كان يحضر كل صباح أربع ختمات، وكذلك في المساء، وكُتب بذلك محضرٌ وبعث به إلى السلطان[٦٤].

ولعلهم جميعًا اشتركوا في الأمر بذلك، وتوافقوا على القراءة عليه، وكتبوا محضرًا أرسلوه للسلطان.

---

(٦٣) العقد الثمين (١٣٨/٤- ١٣٩).

(٦٤) إتحاف الورى (٥٧٣/٣).

ولما مات يشبك الجمالي صُلِّي عليه، وعُمل له ربعة أمام الجمالية[٦٥] بالمسجد الحرام، حضر فيها السيد الشريف والقضاة والفقهاء وغيرهم، وكان الجمع حافلًا[٦٦].

ولما وصلت إلى مكة ابنة الشريف علي بن بركات وهي ميتة، ومعها زوجها ابن عمها راجح بن محمد بن بركات وبعض إخوته، وشيعها معهم القضاة وبعض الفقهاء، وصلُّوا عليها ضحًى، ودُفنت بالمعلاة عند أقربائها بالتربة المستجدة، ثم وصل إلى مكة السيد بركات وأخوه هزاع، وعمل لها ربعة بالمسجد الحرام صباحًا، وختم عليها يوم الخميس[٦٧].

وربما اختصَّ بعض المشايخ بالقراءة على بعض القبور، أو اشتهر بذلك، كما هو الحال عندما أرَّخ ابن فهد موت الشيخ سعد الدين العجمي فقال: «مات الشيخ سعد الدين العجمي القارئ على قبور السيد صفي الدين وعفيف الدين وذريتهما، وصُلِّي عليه بعد العصر عند باب الكعبة، ودُفن بالمعلاة بين المغرب والعشاء بالشعب الأقصى»، وذكر أن الناس قد أثنوا عليه خيرًا، تلاوةً وطوافًا وصلاةً وصومًا[٦٨].

ولم يقتصر الأمر على قراءة القرآن للأحياء والأموات، بل وقع أيضًا شد الرحال لقبور بعض الصحابة والصالحين، كما حصل سنة ٨٠٩ حين توجه بعضهم للطائف لزيارة حَبْر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٦٩].

وتكرر الأمر نفسه في ربيع الأول سنة ٩٠٧ هـ في ليلة الخميس سادس عشرة الشهر، حيث توجه الشهابي أحمد بن العيني إلى زيارة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بالطائف، وخرج معه قافلة كبيرة، وعادوا إلى مكة ليلة الجمعة رابع عشري الشهر[٧٠].

---

(٦٥) يعني المدرسة الجمالية

(٦٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي المكي المتوفى سنة ٩٢٢هـ (٥٥٤/٢) رسالة جامعية من إعداد: عليان بن عبد العالي بن عليان المحلبدي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، الضوء اللامع للسخاوي (٢٧٦/١٠).

(٦٧) بلوغ القرى، لابن فهد (٥٥٠/٢).

(٦٨) المصدر السابق (٧٧٧/٢).

(٦٩) العقد الثمين (٥٦/٣).

(٧٠) بلوغ القرى لابن فهد (٨٥٣/٢).

وزاد آخرون الكتابة على القبور أيضًا، وقد نقل بعض المؤرخين من هذه الكتابات الموجودة على القبور تراجم وأشياء ذكروها في كتبهم.

فذكر الفاسي ترجمة أحمد بن مسعود بن علي، يلقب بالشهاب ابن النجم، خادم الصوفية بالخانقاه الرُّكْنِيَّة بالقاهرة، ثم قال الفاسي: «توفي ليلة الاثنين سابع عشري رمضان سنع تسع وستين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، ومن حَجَر قبره لخصتُ هذه الترجمة»[٧١].

ونقل ابن فهد أشياء عديدة في تراجم غير واحدٍ ممن ترجم لهم.

فقال ابن فهد: «محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، العلامة قاضي القضاة جلال الدين، أبو السعادات. مات في آخر يوم الخميس تاسع صفر سنة إحدى وستين وثمانمائة بمكة، وصُلّي عليه يوم الجمعة، ونودي عليه بالصلاة من فوق ظلة زمزم، ودفن بالمعلاة بقبر والدته إلى جنب أخويه بتربة بني الحرازي، وكان الجمع في جنازته حافلًا رحمه الله وإيانا، وقد كُتب في حجر قبره: توفي في ليلة الجمعة، وهو غلط متعمد»[٧٢].

وقال ابن فهد: «محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود بن أحمد بن حجر المصري، الشهير بابن حجر، زين الدين بن فخر الدين بن قطب الدين بن ناصر الدين ابن جلال الدين، مات في خامس عشري شهر رمضان سنة خمس وثمانين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة. هكذا رأيت ذلك مكتوبًا في حجر قبره بالمعلاة في حائط تربة سفيان بن عيينة رضي الله عنه، فهو ابن عم شيخنا قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل ابن حجر رحمه الله تعالى آمين»[٧٣].

وقال أيضًا: «خليفة بن بو سعد بن ميمون الجعفري، مات في اليوم التاسع من القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة. هكذا رأيت في حجر قبره بالمعلاة»[٧٤].

---

(٧١) العقد الثمين للفاسي (١٨٠/٣).

(٧٢) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تأليف/ عمر ابن فهد (٣٤١).

(٧٣) المصدر السابق (٣٩٦).

(٧٤) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص (٧٢٠).

وقال: «سعد بن عبد ا لله بن علي بن عرفة المكي، مات في ذي القعدة سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة، نقلت ذلك من حجر قبره بالمعلاة، وترجم فيه بالشيخ الصالح»[٧٥].

وقال: «سليمان بن المنصور بن داود بن عيسى بن فليتة، كان موجودًا سنة عشرين وستمائة،

لعل المنصور اسمه أحمد، فإنه كان لداود بن فليتة ولد اسمه أحمد، مكتوبٌ على حجر قبره بالمعلاة: الشاب الشريف الأمير السعيد، فلعله هو، والله أعلم»[٧٦].

وقال: «عبد الرزاق الجزولي، تاج الدين، مات في المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة، هكذا وجدت وفاته في حجر قبره بالمعلاة بقرب سفيان بن عيينة»[٧٧].

وقال: «عبد الله بن شهاب الدين المرسي، الشيخ عفيف الدين، توفي رابع جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، هكذا رأيت مكتوبًا في حجر قبره بالمعلاة»[٧٨].

وقال أيضًا: «عبد ا لله الركراكي، الشيخ الصالح الفقيه العالم الفاضل الزاهد، أبو محمد، مات في ثالث عشر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة، نقلت ذلك من حجر قبره بالمعلاة»[٧٩].

ثم تطور الحال بالناس بعد ذلك إلى أن بنوا القباب على المقابر، واتخذت مزارات يُتَبَرَّك بها، ويُعتقد في أصحابها خاصة من المنتسبين للصوفية.

وقد ذكر المؤرخون في ذلك أعاجيب، من ذلك ما ذكره ابن فهد أيضًا في ترجمة علي اليمني الشهير بخروعة، قال: «رأيته وأنا صغير بعد العشرين وثمانمائة، وهو يقيم بزقاق بيتنا خارج باب الندوة أحد أبواب المسجد الحرام، وهو مقيم في الظلة الأولى الموالية لباب الحرم ليلًا ونهارًا، لا يكلم أحدًا مرة واحدة، وهو لابس أثوابًا مقطعة وهي مُخَلَّقة بالقاذورات، وكان إذا أُعطي فتوحًا دراهم أو فلوسًا أو خبزًا يضع ذلك في الجدرات فيأخذه الناس، وكانت إحدى يديه ملفوفة، وكنت أسمع أنها

---

(٧٥) السابق، ص (٧٤٨).

(٧٦) السابق، ص (٧٦١).

(٧٧) السابق، ص (٨٤٦).

(٧٨) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص (٩٣٦).

(٧٩) السابق، ص (٩٣٧).

مقطوعة، ثم إنه بعد الثلاثين وثمانمائة انتقل إلى المعلاة وأقام هناك في بعض الأفران الخالية على حالته، فرأيته وهو بالمعلاة ويده التي كانت ملفوفة مكشوفة لم يكن بها قطع».

وهذه حال كثير من شحاذي هذه الأيام، ورغم هذا يتابع ابن فهد كلامه عن هذا الرجل فيقول: «وكان للناس فيه اعتقاد كبير، وأخبرني عبد الله بن منصور الوجدي السقاء أنه كان في شبابه بمكة ذا صورة حسنة، وأنه كان يغني غناء حسنًا. مات في ظهر يوم الثلاثاء سلخ رمضان سنة سبع وأربعين وثمانمائة بمكة المشرفة، وصُلِّي عليه عصر يومه عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة، وحملت جنازته على الرؤوس، وبُني قبره، وجُعل عليه قنديل، وصار الناس يزورون قبره ويتبركون به، رحمه الله وإيانا»[٨٠].

بل وصل الحال إلى ما هو أبعد من هذا فيما ذكره الإمام السخاوي في ترجمة عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم الحربي المغربي: «كان صالحا معتقدًا يذكر أن أصله من الينبوع، وأنه شريف حسني، وقد ولي بمكة مشيخة رباط السيد حسن بن عجلان، ومات بها في ليلة السبت ثامن شعبان سنة خمس وأربعين، وبُني على رأس قبره نصب؛ بل حوط نعشه، وهو مما يُزار ويُتبرك به، ويُحكى عنه أن أباه كان زيديًّا» إلى آخر ما ذكره الإمام السخاوي[٨١].

(٨٠) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص (١١٠٠ – ١١٠١).

(٨١) الضوء اللامع للسخاوي (٥/٨٤).

المبحث الثاني
في الانحراف العقدي والخرافات والبدع
في الحرم المكي أيام العهد المملوكي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القتال في الحرم والاستعانة بالروافض على أهل مكة.

المطلب الثاني: المبالغة في تزيين البيت وكسوة الكعبة من داخلها، ونثر الذهب والفضة عليها وكتابة أسماء الملوك فيها واستحداث كسوة حِجْر إسماعيل من داخله.

المطلب الثالث: بدعتا العروة الوثقى وسرة الدنيا وخرزة فاطمة.

المطلب الرابع: الدعاء للخلفاء والسلاطين والأمراء على زمزم وبعد صلاة المغرب وأثناء طوافهم بالبيت.

المطلب الأول
القتال في الحرم
والاستعانة بالروافض على أهل مكة

وقد ذكر المؤرّخون كيف اخترق جماعة من الأمراء حاجز الأمان المضروب على الحرم من جهة الشريعة، بحيث لا يُقاتل فيه، ولا يُرَوَّع فيه أحدًا، بل ولا يصاد صيده، فكيف بسفك الدماء في داخله؟

وفي هذا يذكرا لمؤرّخون في سنة ٦٥٣ ما فعله جماز بن شيحة صاحب المدينة، وآخرون معه، حين جمعوا جمعًا عظيمًا وقصدوا مكة، فحاصروا أميرها مبارز الدين ابن برطاس حصارًا شديدًا، ودخلوا عليه مكة من رؤوس الجبال، في يوم السبت لأربع ليال بقين من المحرم، وتقاتلوا في وسط مكة، وكُسر ابن برطاس، وقُتِل جماعة من أصحابه، وأَسَروه، ففدى نفسه.

وسُفِكت الدماء بالحِجْر من المسجد الحرام، وامتلأ الناسُ رُعبًا، وخرج ابن برطاش ومن مه من مكة، ثم تنافر هؤلاء الأمراء الجدد على ولاية مكة، وتقلبت إمرتها فيما بينهم(٨٢).

(٨٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبي الطيب محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين المكي الحسني الفاسي المتوفى ٨٣٢هـ (٢/٢٤١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م، إتحاف الورى لابن فهد

وفي هذه السنة كادت أن تنشب حرب أخرى حين تنافر أمير الركب العراقي مع أمير مكة، وركب أميرُ الركب العراقي للقتال، ثم سكنت الفتنة بسعي الناصر داود بن المعظم عيسى بن العاد صاحب الكَرَك، وأحضرَ أميرَ مكة لأمير الحاج- وفي عنقه عمامته- فرضي عليه أمير الحاج وزاده في هذا الموسم على جرت به العادة في الرسم، وشكر الناس للناصر- صاحب الكَرَك- صنيعه هذا[٨٣].

ويذكر ابن فهد في سنة ٦٧٠ أنه لم يتفق للكعبة الشريفة كسوة؛ لنفرة الملوك من الجور الذي وقع بمكة[٨٤].

ولما عاد القتال والتناحر إلى البلاد المقدسة مرة أخرى سنة ٦٧٥ في وقعة مرّ الظهران، بين أبي نُمَيّ صاحب مكة، وبين جَمَّاز بن شيحة صاحب المدينة، وإدريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع، وظهر عليهما أبو نُمَيّ صاحب مكة، وأُسِر إدريس صاحب ينبع، وهرب جَمّاز صاحب المدينة، فقام شيخ الحرم ومفتيه محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن فارس بن أبي عبد الله العسقلاني المكي، فأنكر هذا المنكر، فما كان من أبي نُمَيّ صاحب مكة إلا أن أخذه وحبسه، لكن لم يلبث أن رأى أبو نُمَيّ في منامه كأنّ الكعبةَ تطوف بالسجن الذي حبس فيه شيخ الحرم ومفتيه، فأرسل إليه فأطلقه واستعطفه واسترضاه واعتذر إليه وسأله المغفرة، فراح للزيارة[٨٥].

وما لبث في آخر هذه السنة أنْ وصل كتابٌ من الملك الظاهر بيبرس إلى صاحب مكة الشريفة أبي نُمَيٍّ ونسخة الكتاب:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نُمَيٍّ محمد بن أبي سعد، أما بعد: فإنّ الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن. والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أسوأ. وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلتَ ما يحمر به الوجه وتسود به الصحيفة، ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجدُّكم الحسن؟ وتقاتلون في الحرم حتى تكون العبر؟ هذا وأنت من أهل الكرم وسكان الحرم! فكيف آويتَ المجرم، واستحللت

(٣/٧٧، ٧٨).

(٨٣) شفاء الغرام (٢/٢٣٨). إتحاف الورى (٣/٧٨).

(٨٤) إتحاف الورى (٣/١٠١).

(٨٥) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي (٢/٥٩)، إتحاف الورى (٣/١٠٥ – ١٠٦).

دم المحرم ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[٨٦]، فإنْ لم تقف عند حدّك؛ أغمدنا فيك سيفَ جدّك، والسلام.

فهنا بادر أبو نُمَيّ فرد على السلطان بيبرس وكتب يقول له:

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر، أما بعد، فإنّ المملوك معترفٌ بذنبه، تائبٌ إلى ربّه؛ فإنْ تأخذ فيدك الأقوى، وإنْ تعفُ فهو أقرب للتقوى، والسلام.

وهنا كتب بعض المؤرخين تعليقًا على ذلك يقول: أهان الله ولاةً بمكة بكتابٍ من والي مصر يزجرهم فيه عن الجور في آخر سنة ٦٧٥. يعني هذه الواقعة المذكورة[٨٧].

بل وصل الأمر مداه سنة ٦٨٩ حين حج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بَكْتُوت الزُّوباسيُّ، وحج قاضي القضاة شهاب الدين بن الحُوَيّيّ، وشمس الدين بن السَّلْعُوس، ومقدم الركب الأمير عتبة، فتوهم منه أبو نُمَيّ، وكان بينهما عداوة، فأغلق أبواب مكة، ومنع الناس من دخولها، فأُحْرِق الباب، وقُتِل جماعة، ونُهبت بعض الأماكن، وجرت خطوب فظيعة، ثم أرسلوا القاضي ابن الحُوَيّي ليُصلح بين الفريقين، ولما استقرّ عند أبي نُمَيّ رحيل الركوب وبقي هو في الحرم وحده، أرسل معه أبو نُمَيّ من ألحقه بهم سالما معظمًا[٨٨].

فانظر إلى العداوة كيف أدت إلى انحراف خطير كهذا؟ فتغلق أبواب مكة أمام الحجاج؟ فضلًا عما جرى من قتل ونهب وترويع في حرم الله عز وجل؟.

بل جرى ما هو أخطر وأكثر انحرافًا حين ذهب أمير مكة يستعين بالروافض لينصروه على أهله مكة.

ففي سنة ست عشرة وسبعمائة، وفي شهر ذي القعدة منها: وصلت الأخبار بموت ملك التتر خَرْبَنْدَا محمد بن أَرْغُون بن أَبْغَا بن هولاكو قان، ملك العراق، وخراسان، وعراق العجم، والروم، وأذربيجان، وبلاد الأرانة، وديار بكر، وكانت وفاته في السابع والعشرين من رمضان، ودفن بتربته بالمدينة التي أنشأها، التي يقال لها: السلطانية، وقد جاوز الثلاثين من العمر، وكان أقام سنة

---

(٨٦) سورة الحج: آية ١٨.

(٨٧) العقد الثمين (٤٦٥/١ – ٤٦٦)، إتحاف الورى (١٠٥/٣ – ١٠٧).

(٨٨) البداية والنهاية لابن كثير (٦٢٥/١٧).

على السنة، ثم تحول عنها إلى الرفض، وأظهره وأقام شعائره ببلاده، وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحِلِّيُّ- تلميذ نصير الدين الطوسي-، وأقطعه عدة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة، وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد.

وكان صاحب مكة الأمير حميضة بن أبي نُمَيٍّ الحسني قد قصد ملك التتر خَرْبَنْدَا- المذكور- لينصره على أهل مكة، فساعده الروافض هناك، وجهزوا معه جيشًا كثيفًا من خراسان لأجل ذلك، فلما مات خَرْبَنْدَا بطَل ذلك بالكُلِّية، وعاد حميضةُ خائبًا خاسئًا، وفي صحبته أميرٌ من كبار الروافض من التتر يقال له: الدلقندي، وقد جمع لحميضةَ أموالًا كثيرة ليقيم الرفض بذلك في بلاد الحجاز، فوقع بهما الأمير محمد بن عيسى أخو مُهَنَّا، وقد كان في بلاد التتر أيضًا ومعه جماعةٌ من العرب، فكسرهما ومن كان معهما، ونهب ما كان معهما من الأموال، وتفرق الرجال، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة الإسلامية، فرضي عنه السلطان الملك الناصر وأهل دولته، فاستدعى به السلطان إلى حضرته، فحضر سامعًا مطيعًا، فأكرمه نائب الشام، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضًا، ثم إنه استفتى الشيخَ تقي الدين ابنَ تيمية، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله: عن الأموال التي أخذت من الدلقندي؟ فأفتاهم بأنها تُصرف في المصالح التي يعود نفعها على المسلمين؛ لأنها كانت معدة لعناد الحق، ونصرة أهل البدعة على السنة[٨٩].

المطلب الثاني

المبالغة في تزيين البيت

وكسوة الكعبة من داخلها، ونثر الذهب والفضة عليها

وكتابة أسماء الملوك فيها واستحداث كسوة حِجْر إسماعيل من داخله

وذلك بتزويق البيت، والكتابة على جدرانه، خاصة في قبلة المصلين، أو تعليق شيء أو غير ذلك مما يشغلهم عن صلاتهم، وقد سجل ابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ وجود أشياء كهذه، ونبه على النهي عنها[٩٠].

([٨٩]) البداية والنهاية (١٨/١٥٣ – ١٥٥).

([٩٠]) المدخل، لأبي عبد الله ابن الحاج المالكي (٢/٢١٤).

وأما كسوة الكعبة من داخلها: فقد جرى ذلك في سنة ٦٥٩ وفي هذه السنة حج الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن، وكان له في طريقه من الصدقات- في البر والبحر- ما لا يعلمه إلا الله، وكان يسير في البر والمراكب تسير في البحر مسايرة له بالعلوقات والأطعمة، ودخل مكة في عساكره وجنوده، داعيًا ملبيًا، خاشعًا متضرّعًا، عاري الرأس والجَنْب حتى قضى الطواف، ولم يزل بمكة إلى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف بعرفة، فوقف عند الصخرات، وطلعت أعلامه مضمومة مع أعلام صاحب مصر، فقال له الأمير عز الدين ابن الإمام: هلَّا أطلعتَ أ علامك يا مولانا قبل أعلام المصريين؟ فقال: أتراني أؤخر أعلام ملكٍ كَسر عساكر التتر بالأمس وأُقَدِّم أعلام لأجل حضوري ومغيبه؟ لا أفعل هذا أبدًا. ومضى في حجه حتى أتمه، ثم قصد البيت الشريف، وحلّ له ما حرم عليه، ولم يزل مدة إقامته بمكة يصلي المغرب على قبة زمزم، ثم يطوف واردًا وصادرًا، وتخالف هو والوزير القاضي البهاء في مقام إبراهيم وخدمة البيت الشريف، وأخذ المكسحة فكسحه، وتأبّط القربة وغسله، ثم ضمّخه بالغوالي الفاخرة، وكسا الكعبة الشريفة من داخلها، ولم يكسها ملك قبله بعد الخلفاء العباسيين ببغداد، واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر، وإنما تجعل كسوته على الكعبة بعد سفر الحاج المصري من مكة؛ مراعاة لصاحب مصر، وانفرد بكسوتها بعض سنين، وقام مع ذلك بمصالح الحرم، وبقي بمكة عشرة أيام يُفرّق الصدقات حتى ملأت صدقاته كل منزلة بمكة، وعمّت جميع الحاج على اختلاف أنواعهم، وجهز حاج مصر بالأنعام والمراكب والأزواد، وكسا رؤساء الحرم الشريف، ونثر على البيت الذهب والفضة، فما عزم على الرحيل ودّع البيت باكيًا[٩١].

وعلى الرغم من هذا فقد تجرأ المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن بكتابة اسمه في الكعبة وذلك سنة ٦٨٠ حين عمر رخام في جوف الكعبة، وهو أول ملك كتب اسمه في الكعبة[٩٢].

وكان الملوك والأمراء في كل سنة يتفاخرون بتسبيل الأموال للكعبة، وبكسوتها، والإنفاق عندها على الفقراء والمساكين، وإطعام المجاورين للبيت[٩٣].

---

(٩١) العقد الثمين (٤٨٩/٧). إتحاف الورى (٨٢/٣ – ٨٤)، وبعضه في شفاء الغراء (٢٣٩/٢).

(٩٢) إتحاف الورى (١١٣/٣).

وقد كانت هذه العادة الأميرية قديمة، قبل هذا العصر، بدليل قول أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سُئِلَت: أَنَكْسُو الكعبةَ؟ فقالت: «الأمراءُ يَكْفُونَكُمْ ذلك، ولكنْ طَهِّرْنَهُ أَنْتُنَّ بالطيب»[٩٤]. وفي رواية أخرى قالت: «كسوة البيت على الأمراء»[٩٥].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل استُحْدِث في العصر المملوكي كسوة حِجْر إسماعيل من داخله.

ففي سنة ٨٥٢ وصلت كسوة كسوة لحِجْر إسماعيل من داخله، ولم توضع على الحِجْر[٩٦].

لكن في سنة ٨٥٣ حج العراقيون بمحمل على العادة، وكانت الوقفة الجمعة، وكان أمير الحاج الطواشي فيروز الزمام، وأمير أول تَمُرْبُغا الظاهر، ووصل صحبة الحاج كسوة الحِجْر الشريف من داخله، وأُلْبس ذلك مع الكسوة التي وصلت في السنة الخالية لداخل الحِجْر في العشر الأخير من ذي الحجة[٩٧].

المطلب الثالث

بدعتا العروة الوثقى وسرة الدنيا وخرزة فاطمة

فقد حدث بعد الستمائة أن اختُلِقت بدعة العروة الوثقى، وبدعة سرة الكعبة، وبقيت البدعتان حتى سنة سنة ٧٠١ فيما ذكر ابن فهد، أو سنة ٧٠٢ فيما ذكره المقريزي، ثم أزيلتا من الكعبة والحمد لله رب العالمين.

وقد ذكرهما أبو عمرو ابن الصلاح، كما ذكرهما غيره، مع هتك سترهما والتنبيه على فسادهما، وخطأ الاعتقاد فيهما.

---

(٩٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المعروف بابن الملقن (٣٤٤/١١)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، الناشر: دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٩٤) المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٩٠٨٨/٨٩/٥)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(٩٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي المعروف بالأزرقي (٢٥٤/١)، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر، بيروت.

(٩٦) إتحاف الورى (٢٨٠/٤).

(٩٧) المصدر السابق (٢٨٧/٤).

وقال الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله: «وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة والمحتالين في الكعبة المكرمة أمرين باطلين عظُم ضررهما على العامة:

أحدهما: ما يذكرونه من العروة الوثقى، عمدوا إلى موضعٍ عالٍ من جدار البيت المقابل لباب البيت فسموه بالعروة الوثقى، وأوقعوا في قلوب العامة أنّ من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى، فأحوجهم إلى أن يقاسوا في الوصول إليه شدة وعناء، فركب بعضهم فوق بعض، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر دنيا وديناً.

الثاني: مسمار في وسط البيت سموه سرة الدنيا، وحملوا العامة على أنْ يكشف أحدهم عن سرته، وينبطح بها على ذلك الموضع حتى يكون واضعًا سرته على سرة الدنيا، قاتل الله واضع ذلك ومُخْتَلِقه وهو المستعان. انتهى بنصه من منسك ابن الصلاح.

وهذان الأمران لا أثر لهما الآن في الكعبة، وكان زوال البدعة التي يقال لها العروة الوثقى في سنة إحدى وسبعمائة، عندما توجه إلى مكة الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن حناء، في أثناء سنة إحدى وسبعمائة، فرأى فيها ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام، وتعلُّق الناس بعضهم على بعض، وحمل النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى في زعمهم، فأمر بقلع ذلك المثال، وزالت تلك البدعة[٩٨].

وذكر المؤرخون بدعة أخرى باسم الجزعة أو الدائرة أو خرزة فاطمة فيما يزعمون. قال المطري: وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة يجتمع إليها النساء والرجال ويقال: هذه خرزة فاطمة الزهراء، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها فربما وقعتا وانكشفت العورة، فأمر بقلعها الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المصري المعروف بابن حناء في مجاورته سنة إحدى وسبعمائة، وفيها أزال أيضًا بدعة العروة الوثقى من الكعبة.

ولعل هذه الجزعة هي نفسها المشار إليها في قول ابن عبد ربه: على ترس المحراب- يعني بجدار القبلة- فضة ثابتة غليظة، في وسطها مرآة مربعة، ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها، ثم فوقه أزرار رخام فيه نقوش، تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة، ثم تحتها إلى الأرض أزار رخام مخلق بخلوق فيه الوتد الذي كان صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأوّل.

([٩٨]) شفاء الغرام (١٤٨/١ – ١٤٩) التقدمة. إتحاف الورى (١٣٢/٣ – ١٣٣).

وقد وُسِّع المحراب القبلي عما كان عليه، وزيد في طوله، وتغير عن محله بعد الحريق الثاني، وأُبدل الصندوق الذي كان أمام المصلى النبوي واللوح الذي كان في قبلته بدعامة فيها محراب مرخم مرتفع يسيرًا عن أرض حوض المصلى الشريف(٩٩).

وأما المقريزي فذكر إزالة هذه البدعة في سنة ٧٠٢، وقال: فلما استقر السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغي بثلاثين ألف درهم، واستقر أمير الركب، وقدم له الأمراء شيئًا كثيرًا وكتب على يده: إلى أبي الغيث وأخيه أميري مكة ألا يمكّنوا من الأذان بحي على خير العمل، ولا يتقدّم في الحرم إمام زيدي، وألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان في الكعبة مما سموه العروة الوثقي، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذي كان في الكعبة.

وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقي ومن التسلق إلى المسمار عدة مفاسد قبيحة فتُرِك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس، وتُرك الأذان بحي على خير العمل من مكة، ولم يتقدم من حينئذ إمام زيدي للصلاة بالحرم(١٠٠).

المطلب الرابع

الدعاء للخلفاء والسلاطين والأمراء على زمزم وبعد صلاة المغرب وأثناء طوافهم بالبيت

وجرت العادة فيما ذكره المؤرخون بأن يقوم المؤذن في الحرم بالدعاء للسلاطين والملوك والأمراء على زمزم، جهرًا، وأن يكون ذلك بعد صلاة المغرب على زمزم أيضًا.

كما جرت العادة بأن يتم الدعاء لهم أيضًا أثناء طوافهم بالبيت، وأن يقوم المؤذن الزمزمي بالدعاء لهم عند كل شوط، والثناء عليهم(١٠١).

وقدَّمنا في هذا البحث كيفية الدعاء لهم عند كل شوط أثناء طواف الأمراء عند استهلال هلال كل شهر من شهور السنة.

وهذا أيضًا مما لا سند له في الشريعة.

---

(٩٩) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، للسمهودي (٣٩/٢).

(١٠٠) السلوك للمقريزي (٣٦١/٢ – ٣٦٢).

(١٠١) العقد الثمين (١٤١/٤)، إتحاف الورى (٢٩١/٣).

نتائج وتوصيات

وبعد:

فإني أحمد الله عز وجل على تمام هذا البحث، وأرى أن واجبًا عليَّ في نهايته أن أضع بعض النتائج والتوصيات المستخلصة من بحثي هذا؛ كالتالي:

أولًا: الإشادة بالجهود التي بذلها المماليك في عصرهم، سواء في خدمة الكعبة المشرفة ومكة المكرمة خاصة، أو في الدفاع عن العالم الإسلامي ضد التتر وغيرهم بصفة عامة.

ثانيًا: الإشادة بجهود المماليك في نشر السنة، وحرصهم على ذلك، مع وجود بعض البدع والخرافات في هذا العصر.

ثالثًا: رواج الحركة العلمية، وانتشار المدارس والأوقاف عليها، وكثرة العلماء في هذا العصر بشكل ملحوظ.

رابعًا: وتبع ذلك انتشار المصنفات العلمية ووفرتها في شتى المناحي.

خامسًا: بيان ضرورة إنصاف المماليك وإعطاء ملوكهم حظهم من البحث والدراسة، والاستفادة من تجربتهم وعصرهم.

سادسًا: بيان البدع والخرافات القديمة، ومدى تأثيرها على البدع والخرافات الحادثة في عصرنا الحالي، أو في العصور المتأخرة بشكل عام.

سابعًا: تسليط الضوء على صورة المجتمع في مكة المكرمة في العصر المملوكي، وبيان مدى تأثُّر هذا المجتمع بالواقع الإقليمي المحيط به.

ثامنًا: تسليط الضوء على واقع الأمراء والحكام في مكة عبر هذه السنوات.

تاسعًا: بيان جهود الحكام والملوك في حفظ طريق الحجاج وتأمينه من جهة، وبيان المشقة والجهد والمخاطر التي كان يقاسيها الحجاج آنذاك.

عاشرًا: ونوصي الباحثين باستخلاص صورة المجتمعات من خلال ما يذكره المؤرخون في كتبهم، ومن خلال مجريات الأحداث التي توردها كتب التاريخ.

حادي عشر: كما نوصي بأن يتم الربط في الأبحاث بين الوقائع التاريخية، وبين واقعها المحيط بها، وأن لا نفصل الأحداث عن السياق والواقع الذي جرت فيه.

المصادر والمراجع

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، للنجم عمر بن فهد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي المعروف بالأزرقي، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر، بيروت.

إنباء الغمر بأبناء العمر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي المكي المتوفى سنة ٩٢٢هـ، رسالة جامعية من إعداد: عليان بن عبد العالي بن عليان المحلبدي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.

تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي، تحقيق: د: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المعروف بابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، الناشر: دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى.

الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تأليف عمر ابن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تأليف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي،تحقيق د. جمال الدين الشيّال، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

السلوك لمعرفة دول الملوك، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، المقريزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي المتوفى سنة ١١١١هـ، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبي الطيب محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين المكي الحسني الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ المتوفى سنة ١٢٣٧هـ، الناشر: دار الجيل بيروت.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ، المحقق: فؤاد سيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: د.محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

مختار الصحاح لأبي عبد الله، زين الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ.

المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

المصَنَّف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار القبلة، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

المعجم الوسيط، إخراج: مجمع اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، للحسن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهاشمي العبّاسي الصَّفَدِي، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.